الباب السابع

بناء الفكر وانجازاته

obeikandl.com

obeikandl.com

أثر الفكر على حياة الإنسان

الفكر نعمة أنعم بها سبحانه وتعالى على الإنسان وميزه على الحيوان وباقي مخلوقاته فبفضله يستنير طريق البشر وبه تتم الانجازات العلمية إذن للفكر قوة ضاربة في تحديد قيمة الإنسان فأفكار الأمس هي التي أدت إلى انجازات اليوم وأفكار اليوم بها سنحصل على انجازات الغد.

والفكر له برمجة راسخة تتكون لدينا منذ الطفولة مجموعة من المعاني والأفكار لعدة أشياء ووقائع نقوم باكتسابها من منابع مختلفة لتكون برمجة راسخة في عقولنا وهذه المصادر هي سبعة كالتالي: الأبوين--المحيط العائلي-المحيط الاجتماعي- المدرسة – الأصدقاء - وسائل الإعلام -برمجتنا الذاتية هذه المصادر تقوم ببرمجة الطفل ب ٩٠ فى المائة من معتقداته في سن السابعة لذا يجب الحذر مما نقدمه لأبنائنا.

ويصنع ملفات للذاكرة في العقل فمنذ الصغر يبدأ الطفل بصنع ملفات للذاكرة انطلاقا مما يفهمه من تصرفات أبويه وتعبيرات الوجه ولغتهم فيضع بفكره ملفاً لكل معنى (ملف الخوف الإيمان النجاح ....) ولكي يقوم الإنسان بعلاج فكرة سلبية مثلا يجب أن يغير إدراك الملف ومعناه في عقله حتى يتمكن من حذفه نهائياً .

كما يصنع الاستراتيجيات العقلية فكلما استيقظت صباحا أشعر بصداع في رأسي فأحتاج إلى فنجال من القهوة لاسترجاع نشاطي باستعمال مثل هذه الأقوال يكون الناس استراتيجيات سلبية في العقل فيتبرمجون عليها باستخدام متتالية من الأفكار والتصورات الداخلية التي بدورها تسبب النتيجة المتخيلة بفضل الاعتقاد الجازم بهذه المتتالية.

والفكر يؤثر على الذهن فالعقل البشري يعمل بالاتجاهات أي أن كل فكرة فكرت فيها يقوم العقل بفتح جميع الملفات المخزنة التي لها علاقة بهذا الموضوع حتى يركز الذهن عليها فعندما نفكر في أي شئ أو ندركه ينتبه الذهن إليه ويقوم بالآتي:

- التعرف على الفكرة والانتباه لها.

- فتح الملف الخاص بهذه الفكرة.

- تحليل هذه الفكرة ومقارنتها بأفكار أخرى موجودة في الملفات.

- البحث عن الملفات التي لها صلة بالفكرة والتي تدعمها.

- إلغاء أي فكرة أخرى لا تمت بصلة إلى هذه الفكرة.

والفكر والجسد يؤثر كل منهما على الأخر فعندما تفكر في شئ ما فان العقل يفتح جميع الملفات التي لها صلة بذاك الشئ فيبدأ الإحساس به

فعلاً وكأنه واقع فأفكارك هي التي تؤثر على أحاسيسك وبالتالي تؤثر على جسمك ولما يكون الجسم على هيئة ما يفتح العقل ملفا لتلك الهيئة ومن نفس نوعه.

قواعد بناء الفكر:

ويمكِن إجمال قواعد بناء الفكر فيما يلي:

١ ـ كن مُستقِلاً: لا تُعِر عقلَك لغيرك فعَقلُك هِبة مِن الله لك، بل هو مِن أعظم الهبات، فكيف تُسلِم هذا الكنز إلى غيرك ليُسيِّره كما يشاء ويذهب حيث يُريد؟ومسألة إعارة العقل هي الموافقة المُطلقة للغير وعدم النظر والتأمُّل فيما يقول أو يفعل، وكأنك عطَّلت عقلكَ وتَفكيرَك وسلَّمتَه إياه على طبق مِن ذهب.

وهذه القضية إعارة العقل هي البوابة التي يدخل منها مُعظم أو كل أهل البدع إلى أتباعهم، فتراهم يَطلبون منهم التسليم المُطلَق للشيخ أو الإمام دون نظر أو تفكير، بل ويَعتبرون أن مَن يُناقش شيخه أو يشكُّ في تصرُّفاته مارق، وربما يَخرج مِن ملَّتهم ومَن تأمَّل الفِرَق كالرافضة وغلاة الصوفية وغيرهم سيُدرك حقيقة هذا الأمر،لذا حين تَنكشِف الحقائق يوم القيامة يكون الحوار الذي سجله القرآن الكريم، (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ

الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) وقوله: (إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا)، بل إن الشيطان نفسه يصرِّح بذلك، ويوكل إضلاله للعباد إلى أنفُسِهم، وإلى ترك عقولهم له، فاللوم الحقيقي يقع على العباد أنفسهم؛(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) وكأنه يقول: أين كانت عقولكم عندما دعوتكم، فأنا لم أجبرْكم، وكل ما فعلته هو الدعوة فقط

وقد يقول قائل: نحن في شَرعِنا الإسلامي لا بدَّ مِن التسليم، فنقول: إن هذا التسليم ليس لمَخلوق، إنما للخالق الذي خلَق الإنسان، وهو أعلم بما ينفعه ويَضرُّه، وهو أرحم به مِن نفسه، وهو أحكم الحاكمين، وأما طاعة الرسول ـ ص ـ فهي مأخوذة مِن طاعة الله؛ فهو رسول الله ص، كما أنه (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) والوحي مِن الله، أما طاعة غير الله وغير رسوله فهي بعد طاعة الله وطاعة رسوله ص ومُرتبطة بالمعروف ؛ فقد بعث النبي ص سَريَّةً فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يُطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبيُّ ص أن تُطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبًا، فجمعوا، فقال: أوقدوا

نارًا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهمُّوا وجعل بعضهم يُمسك بعضًا، ويقولون: فرَرْنا إلى النبي ص مِن النار، فما زالوا حتى خمَدت النار، فسكَن غضبه، فبلغ النبي ص فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف، ووجه آخَر، وهو اليقين التام بأنه لا يُمكن أن يَتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح فكلاهما مِن عند الله ووجه ثالث، هو أن الشرع يدعو إلى التفكُّر والتأمُّل ويَحثُّ عليه فهو مطلب؛ بل قال الله - تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...)، فأمر بالعمل بعد العِلم.

قيِّم أفكارك: إن أفكارنا لم تنبُت في عقولنا مِن فراغ أو مِن لا شيء، إنما جاءت من مصادر مُتعدِّدة ومُتنوِّعة، فلا بد مِن مراجَعة تلك الأفكار والنظر في مصدرها ومدى صدق ذلك المصدر والثِّقة فيه فسماعنا ورؤيتنا تَصحبهما رسائل وأفكار إلى عقولنا وليس مجرَّد كلام وصُوَر، وقد يُراد أن تتجذَّر لدَيك أفكار محدَّدة عن طريق تلك الكلمات والصور، فبعض الأحيان يكون الخبر صحيحاً؛ لكن ما يَتبعه من تحليل وتضخيم أو تصوير هو الهدف، فيَتغلغل إلى ذهنك مع الخبر الصحيح فيَحصُل المقصود، لذا فعند المُراجَعة والتدقيق تتبيَّن لك أمور لم تتوقعها مِن قبْل، واقرأ معي هذه الآيات: (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)،إنهم يَسمعون ويعقلون ولكنهم نفَوا عن أنفسهم السمع النافع والعقل الراجح المُفكِّر الذي يوقف صاحبه على حقائق الأشياء، ويُرشِده إلى الخير ويُبعده عن الشر بعكس أهل الإيمان، وفي ذلك اليوم - يوم القيامة - تتكشَّف لهم الحقائق ويُدركوها، ولكن في وقت متأخِّر.

وحتى لا تكون ضحيةً لأفكار غيرك عليك أن تسأل نفسك ثلاثة أسئلة:

١- ما مصدر تلك الأفكار؟

٢- ما مدى ثِقة وصدق هذا المصدر؟

٣- ما الأدلة على صحَّة تلك الأفكار؟

٣- لا تكن تافهاً خفيف الوزن:

واللهِ لئن قالَه لقد صدَق، فما يُعجبُكم مِن ذلك؟ واللهِ إنه ليُخبرُني الخبرَ ليأتيه مِن اللهِ مِن السماءِ إلى الأرض في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ فأصدِّقه تلك العبارة قالها أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه - حين قال له كفار مكة: يا أبا بكرٍ هل لك في صاحبك - يَعني محمدًا، ص- يزعُمُ أنه جاء هذه الليلة بيتَ المقدِس وصلَّى فيه ورجَع إلى مكة!، إنها واللهِ الثِّقة

في صدْق الحدث حتى لو كان مستحيلاً في نظر البعض، إن صاحب اليقين الراسخ بما لدَيه مِن أفكار لا تَهزُّه العبارات والتصرُّفات بل تزيده ثباتًا لذا والله أعلم كان مِن صفات المؤمنين عدم الرَّيب؛ (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) ومِن صفات المنافقين الريبة (الشك)؛ (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) وانظر إلى المواقِف المُتباينة في غزوة الأحزاب كيف صوَّرها القرآن الكريم: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا)الموقف واحد، والمكان واحد والزمن واحد، ولكن اختلاف الثقة والإيمان هو الذي سبَّب اختلاف النظرة والتحليل بين الفريقين.

إن قوة أدلتك وتنوُّعَها وصدق مصدرها يجعلك تطمئنُّ وتثق فيما لدَيك، فتُصبح (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)فالعُلوُّ والارتفاع لا يؤثِّر في ثباتها،فهي راسِخة حتى لو وصَل ارتفاعها إلى السماء، وإياك أن تكون كالريشة التي تُحرِّكها الريح حيثما شاءت، فلا إرادة لها ولا سُلطة حتى على نفسِها.

تذكَّر أن هناك مَن يسعى لزعزعة الثِّقة في نفسِك، ويطمح لخلخلة أفكارك وإيجاد ثُغور فكريَّة يُمكنه أن يتسلَّل مِن خلالها إلى عقلِك وقلبك،فهل ستَسمح له؟

٤ -ارفع الأسوار: مثلث صحة الأبدان هو: التغذية والحمية، والاستفراغ، وقد أشار ابن القيم إلى أن صحة القلوبِ مشابهةٌ لصحة الأبدان؛ فلا بدَّ من تغذية القلب وحمايته وتنقيته، وصحة الفكر لها المثلثُ نفسُه: التغذية، والحماية، والتنقية وتزدادُ أهمية الحمية الصحية في بعض الحالات الخاصة كالمريض،أو الحالات العامة كانتشار بعض الأمراض والأوبئة، وكلما كانتِ الحالة أشدَّ كانتِ الحمية أهمَّ، حتى ظهر نوعٌ جديد من الطبِّ يُسمَّى الطب الوقائي، وهو مجموعة من الإجراءات الفردية والجماعية، الهدف منها الوقاية من المرض قبل الإصابة به.

والحماية الفكرية ليستْ أقلَّ أهميةً من الحماية الصحية، لأن فقدانَ الحماية الصحية ربما يؤدِّي إلى الموت الجسدي على أسوأ حال، مع محافظته على دينه، لكن فقدان الحماية الفكرية يعني الإصابة بالأمراض الفكريةِ،التي ربَّما تؤدِّي إلى الخروج من الدِّين وخسارة الدنيا والآخرة، فضلاً عن سَعْيه في نشرِ سمومِ أمراضه الفكرية في أوسع مجال والأمة مطالَبة بأن يكون لها حميةٌ وقائية فكرية، كما في الطب الوقائي، وإلى أن

يتم ذلك على العاقل أن يجتهد في حماية فكره ووقايته بأسوار وليس بسورٍ، وعليه في هذا الزمن بالذات رفعُ الأسوار؛ لعدة أسباب:

١- نمو المعلومات على مستوى العالَم؛ فالمعلومات في العالَم تنمو بنسبة تفوق الضعف كلَّ عام، والمعلومات الرَّقمية تتضاعف كلَّ ١١ شهراً، وحجم البيانات في العالَم مرجح أن يتضاعف ٤٤ مرة خلال السنوات القليلة المقبلة فقط.

٢- الإغراق في البثِّ الفضائي؛ فعددُ القنوات الفضائية يقرب من ٦٠ ألف قناة فضائية، أما عدد الإذاعات، ففي العالَم ٢٥ ألف محطة حسب إحصائية ٢٠٠٨م.

٣- تزايد عددِ الصحف والمجلات الوَرَقية والإلكترونية؛ ففي شبه القارة الهندية فقط أكثر من ٨٢ ألف صحيفة، هذا عدا الإعلام الجديد ومواقع الإنترنت، التي تتكاثر يومياً بشكل يصعب حصره.

ونتيجةً لذلك أصبح الإنسان يتلقَّى يومياً كماً هائلاً من المعلومات والأخبار من مختلف المصادر والأماكن،التي تحمل الغثَّ والسمين، والجميل والقبيح، والصحيح والخطأ، وهذه بدورها تُسهم في تشكيل فكرِ الإنسان وبناءِ شخصيته ولقد أصبحنا نسمع ونرى لوثاتٍ فكرية لم نكنْ نتوقَّع أن تكون في مجتمعاتنا؛ فالحديث عن الشذوذ، والفاحشة، ومقارفة

المنكرات؛ لا على أنه منكر، بل على أنه حرية شخصية، وحق إنساني، ووصل الأمر إلى التطاول على الذات الإلهية والإلحاد، وعلى ثوابت شرعية معلومة من الدين بالضرورة ومن أجل ذلك ينبغي وضعُ أسوار عملية للحماية الفكرية، ومن هذه الأسوار:

ابتعد: عدم التعرُّض للشبهات، والابتعاد عنها وعن أصحابها، استمع إلى قوله -تعالى-: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) .

وتأمَّل هذا الموقف: أتى عمرُ بن الخطاب النبيَّ - ص- بكتابٍ أصابَه من بعض أهل الكتابِ، فقرأه على النبيِّ ص فغضِب، وقال أمُتَهَوِّكون فيها يا بنَ الخطابِ، لقد جئتُكم به بيضاءَ نقيَّة،والذي نفسي بيده، لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وَسِعَه إلا أن يتَّبعَنيومعنى: أمُتَهَوِّكون؛ أي: أمتشكِّكون، أو متحيِّرون، وسعيُ العبد لمصدرٍ آخر دليلٌ على شكّه في المصدر الأول، ولو بنسبة ضئيلة.

ميِّز: إذا لم يمكنْك الابتعادُ، فعليك بالتمييزفلا تكن أذنًا: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

أليمٌ) والأذن هو الذي يَقبَل كلَّ ما يقال له، لا يميِّز بين صادق وكاذب، فعليك بالتمييز بين ما يُقبَل وما لا يُقبَل.

لا تسمع بلسانك: فإذا كان السورُ الثانِي يتحدَّث عن القبول، فهذا السورُ يتحدَّث عمَّا بعد القبول، ولكن هل يسمع الإنسان بلسانه؟ حين أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها مما اتُّهمت به في حادثة الإفك المشهورة، كان مما قاله سبحانه -: (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ...) ويعني أنه تلقَّى الخبر بأذنه، وتحدَّث به بلسانه دون المرور على عقله وفكره، ولو أمعن وتفكَّر قليلاً لكان له رأي آخر، ومن هنا قال الله -تعالى بعدها: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) .

بناء الفكر بناء للحضارة

إنَّ الإنسان كائنٌ مكرمٌ منذ بدء خلْقه، فضَّله الله وأسجَد له ملائكته، وحمَّله أمانتَه، واستْخلفه في أرضه: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) ثم جعَل أمَّة الإسلام خيرَ الأمم، وربَط خيريَّتَها بامتثالها لأوامره، وقيامِها بالأمانة المَنوطة بها: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وسخَّر الله للإنسان الأرض وما حَوت، والسماءَ وما طوت: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ

سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) ونَصيبُ الإنسان من تلك الخيريَّة والمُمكِنات الكامِنة معلّقٌ بوعيه الذاتي، الناشئ عن بنائه الفِكري ولا يَخفى على عاقلٍ أنَّ الأمة ابتعَدتْ عن النَّهج الذي جاء به القرآن مُخاطبًا الإنسانية في أوَّل ما نزَل باقرأ، والتي كانت بمثابة دعوةٍ لإعمال الفكْر وتوجيهه للقراءة والفهم، فغدتِ الأمة مُواجهةً لمُنحدَرٍ فكْريٍّ وعر، حوَّلها من أمة مُنتِجة للعِلم والحضارة والنَّهضة، إلى أمَّة مُستهلِكة بالدرجة الأولى، أعمَلت بها ثقافة الغرب المادية أنيابَها نهشًا، وغزتْها فِكريًّا بآلةٍ إعلامية فتَّاكة، أخرجتِ الأمة من السِّباق الحضاري، ومن دورة النهضة إلى دورة الرُّكود والخمول، فلا نصيب لها من الخيرية؛ لابتعادها عن شروطها!والمُتتبِّع لمسارات الحضارات والأمم يرى أنَّ نهضة أية أمةٍ مُرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا ببنائها الفكري، الذي يُمكِننا أنْ نعرِّفه بأنَّه عملية تَحصيل وتَراكم المعرفة؛ لِتفرز أخلاقًا وحكمةً، وخبرةً ومهارةً في التعامل مع تلك المُمكِنات، وكأيِّ بناءٍ فالبناء الفكري له أُسسٌ يَنطلِق منها، ولَبناتٌ تُكوِّنه، فأساس البناء الفكري تَراكم المعارف والعلوم التي يَجمعُها الإنسان بعد خروجه إلى هذا العالم، بعد أنْ كانت منظومة معرفتة صفرًا؛ (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) ويُمكِن أنْ نُسمِّي هذه المرحلة عملية التجميع؛ يَجمع فيها الإنسان وحَدات المعرفة،والخبرات العمليَّة من مختلف الحقول والعلوم، ويُراكِمها لتكون أساسًا تَستندُ إليه

بنيتُه الفكرية، وتلك التَّراكُمات مرتبطةٌ بمدى سعْيه الحثيث للقراءة والعِلم والفَهم.

ولا تتوقَّف عمليَّة البناء الفكْري عند التجميع؛ لأنَّ الوقوف عندها أو الخَلط بينها وبين عملية البناء مُنزلَقٌ خطر؛ فالمعلومات التي تَنتمي إلى حقولٍ معرفيةٍ مُتباعِدة، ولكثرتِها تَجعل البنية العقلية لدى الشخص العادي عاجزةً عن استخلاص أيِّ شيءٍ كلِّي؛ بل تَنتقل للمرحلة الأهم، وهي عملية البناء، التي تنظِّم الجمْع، وتَستثمره وَفْق منهجٍ واضح للوصول إلى هدفٍ مرجوٍّ، فتصبح عملية جمْع الأفكار أكثر تنظيماً وانتقاءً، وتأخذ دورة الإضافة والحذف والتنقية والغربَلة للأفكار دورَها، فعملية البناء الفكري عَمليةٌ مستمرةٌ ممتدةٌ بامتداد عمْر الإنسان، فبناء الفِكر يَعلو طابقًا فوق طابق، وكل فِكرةٍ تُضيف إلى البناء لَبنةً صغيرة، أو تَحل مَحل لبنةٍ فاسدة؛ حتى تُصبح المنظومة الفكرية بناءً متكامِلاً، أكثر ترتيبًا ووضوحًا، وببناء الفِكر تُبنى الأمم.

أهمية الفكر القومي في التربية الثقافية لدى المجتمع..

تهدف الثقافة الوطنية إلى تربية قومية وتسعى لتنمية شخصية الإنسان، بكل جوانب الحياة العقلية والانفعالية، والأخلاقية، والجسمية، وتشمل الثقافة في معانيها الواسعة، البيئة، الفرد، الأسرة، المجتمع، الوطن، والمواطنة وبين التربية القومية، والثقافة الوطنية علاقة تلازمية

تكاملية تغذيان الواقع نفسه، وتعيدان صياغة الفعل والمنتج، بحيث يتعذر تحقيق أحدهما من دون الآخر.

فالثقافة تمثل المضمون الفعلي للتربية والمبرر الواقعي الحي لوجود الفرد وممارسته على واقع الحياة، ويقوم الإنسان بنقل الثقافة وجعلها خطاباً وممارسة جماعية قابلة للتداول بين البشر، وهذا المنتج الطبيعي المنتظر للثقافة التي هي أكثر عمقاً وتنوعاً وتألقاً وتفرعاً، قياساً وفعلاً من هنا تظهر العلاقة الوثيقة بين الثقافة الوطنية والتربية القومية الصحية التي تهتم بتنمية شخصية الفرد المتعلم، والمواطن المسؤول عن المجتمع والوطن والأسرة والمواطنة، وهذه عملية تكاملية ضمن وظيفة تقنية تربوية تنمي الخيرات وتجدد الحياة نحو الأفضل.

كما تشرك الفرد بسمات عقلية سلوكية، وتكمل المنهج التربوي بجميع الخبرات والمؤثرات الوطنية لشخصية المواطن تجاه وطنه، وخاصة تلك الخبرات الناتجة عن تفاعل البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية مع الاهتمام بالنشاط الحر والتعبير عن الذات، والاستفادة من الخبرات والمعارف والمهارات باعتبارها وسائل تعليم مهمة، باعتبار التعليم يسعى وراء الوعي من أجل أن يكون المتعلم واعياً ثقافياً وأدبياً واجتماعياً،من هنا ومن هذا الهدف انبثقت الأنشطة الثقافية في المجتمعات وتفعيل النشاط الثقافي داخل التجمعات البشرية يعطي طابعاً تعريفياً، بحيث تؤطر المناهج التربوية وتعزز الحوار اليومي داخل

الأسرة ومع الأصدقاء في المجتمع، فالأنشطة الثقافية هي مجموعة من العمليات وأشكال التربوي التي يتم بها تسيير وتوجيه وضبط التواصل بين الأفراد وإنجازات مهام وأعمال يقومون بها، باعتبار أن الأنشطة الثقافية الوطنية تصب في حقول مختلفة تستدعي التداول فيها لبث الروح القومية الإبداعية، وتشجيع المبادرة الذاتية لدى أفراد المجتمع الواعي، والمنافسة الطيبة بينهم، والتي تؤدي بدورها إلى نشر الوعي وتكسر الجمود الثقافي، حيث إن العمل الثقافي لم يعد محصوراً في المسرح والموسيقى ومجلة الحائط، وحتى الأمسيات الشعرية والقصصية، والندوات الأدبية، بل تعدى ذلك فلم يعد عملاً موازياً، بل أصبح العمل الثقافي في قلب كل بيت، يدعمها ويخلق فضاءات عديدة على شكل حوارات،وندوات وأمسيات أدبية، ناهيك عن التلفاز، والفضائيات والراديو،والصحف والإنترنت، فنسمي ثقافة الفرد الوطنية والتربية القومية هي تزيد ثقته الشخصية وطاقاته بمسؤوليته تجاه وطنه وشعبه، وتجعله أكثر انفتاحاً لخلق علاقات ممتازة مع الآخرين، وقدرة على الانخراط في العمل الجماعي الوطني والإبداعي بأسلوب جديد يرتقي بأداء كبير فيه روح المسؤولية العالية تجاه الوضع المأساوي، والأزمة الحالية التي تمر بها البلاد من مؤامرة واستهداف طاقات الوطن والمواطن.

تطور العقل البشري بشكل عام نوجزه في الآتي:

في مرحلة الحاجة إلى توفير الغذاء، صار الإنسان يعتمد على الصيد، يصطاد الحيوانات المختلفة، ويطهوها ويتناولها مطهية هذه المرحلة جاءت بعد أن كان يعتمد على جمع والتقاط الثمار المختلفة لسد حاجته من الغذاء، وكان سكنه في الكهوف والمغارات ومدرسته ،نجد أنها أدت إلى ظهور تراث علمي، ورياضي خصوصاً، واكتشف فيثاغورث العلاقة العددية البسيطة لما يسمى الآن بالمسافات الموسيقية، وفكرة فيثاغورس تقول أن الأشياء كلها أعداد، ولكي نفهم العالم لا بد من أن نعرف العدد في الأشياء واكتشف نظرية المثلث قائم الزاوية التي أخذ مبادئها من قدماء المصريين والبابليين الذين تلقى علوم الهندسة على أياديهم، ولكي نفهم هذه النظرية كان لا بد من إيجاد نظرية في الأعداد الصماء.

وفي حوالي عام ٣٥٠٠ قم جرى أهم تحول في الحياة الفكرية هذا التحول كان الثورة الحضارية الكاملة في بلاد ما بين النهرين ذات إمكانيات الإنتاج الكبيرة فأقامت قرى واسعة على طول نهري دجلة والفرات وفي مصر أقيمت حضارة قديمة في الدلتا على طول نهر النيل ووضعت أنظمة الري ومهد الطريق للثورة الحضرية، سلسلة كاملة من الاختراعات التكنولوجية في المجتمع الزراعي وتم تسخير قوة الثيران

والريح والمحراث والعربة ذات العجلات والزورق كما اكتشف الإنسان خصائص المعادن، وتعلم صهر النحاس والبرونز كما أن الحياة المدنية أوضحت إنجازات الحضارات القديمة، كتشييد الصروح الضخمة الأهرامات والمعابد والتماثيل كما أن الحياة المدنية تطلبت قانون ينظم حياة الناس ويمنحهم الأمان كي يفكروا فى المستقبل ،وتم اختراع الكتابة والطباعة وتطورا ومن أجمل وأروع ما أحدثته الكتابة أنها كونت الذاكرة المدونة التي تعين على تطور الحضارات، وجعلت الأجيال المتعاقبة تبدأ من حيث انتهى السابقين بهدف السعي للارتقاء بواقع المعيشة حيث كانت الثقافة في الماضي شفوية قبل اكتشاف الكتابة فكانت تعتمد على ذاكرة كبار السن لكي ينقلوا الخبرات بالحكاية عبر الأجيال وكانوا يحفظون ما يقولونه ويرددونه تباعاً مثل كل الأمم السابقة، وكانت ميزة الحفظ يتمتع بها بعض الأفراد وتتركز فيهم، هؤلاء الأفراد يشكلون مجموعة من الكهنة والمؤرخين والشعراء والمغنيين، وظلت الحكايات والمعلومات وتواريخ الأمم محفوظة في ذاكرتهم حتى جاء عصر الكتابة.